
من القلب
إلى الأبناء والأحفاد
منير عبدالكريم الراعي
أمواج
للنشر والتوزيع

من القلب

إلى الأبناء والأحفاد

الطبعة الأولى

1447هـ - 2025م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (4442/ 8/ 2025)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب من القلب إلى الأبناء والأحفاد

تأليف الراعي، منير عبد خليل

بيانات النشر عمان: أمواج للنشر والتوزيع، 2025

الوصف المادي 208 صفحة

رقم التصنيف 818.05

الواصفات / المذكرات الشخصية// الأدب العربي// العصر الحديث/

الطبعة الطبعة الأولى

❖ **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**

(ردمك) **ISBN 978-9923-784-46-4**

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه "أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.



من القلب

إلى الأبناء والأحفاد

منير عبدالكريم الراعي

أمواج
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء الوالدين

إلى أمي الغالية

نبع الحنان ودفء العمر، يا من سكنت قلبي قبل أن أعرف اسمي، أحسستُ الحنان من عينيك، وتفتحت مداركي من كلماتك، كنتِ المعلمة الأولى، والمربية المثابرة، والروح التي تحرسنا بالدعاء.

مازال صوتك يهمس في أذني كلما ضاقت عليّ الدنيا، اتقِ الله يا منير... وسيجعل الله لك مخرجًا.

زرعتِ في نفسي حب العلم، وغرستِ الإصرار في كياني، وكنتِ لي النور حين أظلمت الدنيا، والسند حين غاب السند.

وإلى والدي الحبيب

ما عرفتك كثير الكلام، لكنني كنت أقرأ في صمتك دروس الرجولة، كنت كالسنديانة... لا تميل ولا تنكسر، تحمي بظلك، وتربي بجنانك، علمتني كيف أمدّ يدي لمساعدة الآخرين، خاصة البسطاء والفقراء من الناس.

علمتني أن العيش بعزة وكرامة خير من كنوز الدنيا، وأن الصدق زاد لا ينفد، وأن القناعة تاج لا يُباع، أبي! لقد كنتَ بالنسبة لي الصخرة العالية التي وقفتُ عليها كي أطلّ على الحياة.

لكما أرفع هذا العمل... عربون محبة ووفاء، ودعاء لا ينقطع، وأسأل الله أن يجزيكما عني خير الجزاء، فبكما كانت البداية، وبأثركما تستمر الرحلة.

مقدمة الكتاب

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل:78]

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أن هدانا للإسلام، وعلّمنا ما ينفعنا، وألهمنا السكينة والرضا والسعادة.

ها أنا وقد تجاوزت الخامسة والسبعين من عمري، أضع بين أيديكم هذه الصفحات، لا لأتحدث عن نفسي فحسب، بل لأجعل منها رسالة صادقة من قلب والد إلى أبنائه وأحفاده.

كتبتها لأوثّق بها محطات من حياتي: لحظات الطفولة، أيام النشأة، تقلبات الزمن، شتات الغربة، ومواقف منيرة في دروب قد تكون وعرة لكنها كانت زاخرة بالمعاني.

وفي كل سطر كتبت، أستحضر وجه أمي التي صنعت مني رجلاً يكافح من أجل النجاح والتقدم، بيدين متعبتين وقلب عامر بالحب، وأبي الذي زرع في وجداني الصبر والكرامة، وأبنائي الذين كبروا أمام عيني، وأحفادي الذين أرجو أن يقرأوا هذه الكلمات يومًا.

وفي مسيرتي، لم أكن وحدي. بل كانت إلى جواري رفيقة دربي، شريكة أيامي زوجتي العزيزة، التي سارت معي في طريق الحياة بكل ما حمله من أفراح وأتراح، دعمتني في الملمات، ووقفت إلى جانبي في أشد المحن.

وإنني حين أفتح صندوق ذاكرتي؛ فإن أول ما يطل عليّ منها غزة العزة. تلك المدينة التي وُلدت فيها، وتفتّحت عيناي على شمسها، ليست مجرد مكان، بل هي روح، وهوية، وتاريخ محفور في أعماقي.

نبذة تاريخيّة عن غزة

غَزَّة مدينة ساحلية فلسطينية، وأكبر مدن قطاع غزة، وتقع في شماله، في الطرف الجنوبي للساحل الشرقي من البحر المتوسط. تبعد عن مدينة القدس مسافة 78 كم إلى الجنوب الغربي، وحسب التقسيم الإداري فإن القطاع يتكون من محافظة غزة، ومحافظة دير البلح، ومحافظة خان يونس، ومحافظة رفح. تعتبر مدينة غزة إداريًا أكبر مدن القطاع، فمن حيث تعداد السكان بلغ عدد سكان قطاع غزة 2,141,000 نسمة في عام 2023م، ما يجعله أكبر تجمع للفلسطينيين في فلسطين. تبلغ مساحته 360 كم^2، مما يجعله من أكثر المناطق السكنية كثافة بالسكان في العالم.

كانت غزة أول مدينة في فلسطين يفتحها المسلمون في عصر الخلافة الراشدة في 635م، فدخل الكثير من أهلها في الإسلام، وشهدت المدينة فترات من الازدهار والانخفاض. فقد احتلها الصليبيون في عهد الدولة الفاطمية في عام 1100م، وظلت تحت سيطرة الصليبيين حتى 1187م، عندما استعادها صلاح الدين الأيوبي وظلت تحت حكم الأيوبيين ثم المماليك، وأصبحت عاصمة ولاية بلاد الشام التي امتدت من شبه جزيرة سيناء إلى قيسارية، وجاء عهد الدولة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كانت غزة قرية صغيرة. ومع أوائل القرن التاسع عشر، سيطرت مصر ثقافياً على غزة، وحكمها محمد علي باشا من 1831 حتى 1840؛ حيث أخرج العثمانيون قواته خارج المدينة.

بدأ القرن العشرون في غزة بحدوث اثنين من الزلازل المدمرة في عام 1903 و1914.

توسعت مدينة غزة في النصف الأول من القرن العشرين تحت الانتداب

البريطاني على فلسطين. وفي عام 1947م أصدرت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين، وفيه تم تخصيص قطاع غزة ضمن الدولة الفلسطينية العربية.

هاجر إلى المدينة والقطاع عدد من الفلسطينيين نتيجة لحرب 1948م بين العرب وإسرائيل، وخلال تلك الحرب تم إعلان قيام حكومة عموم فلسطين في غزة من قِبَل الجامعة العربية، وكانت الهيئة التنفيذية الفلسطينية تجتمع في مدينة غزة.

بعد الحرب، ظلت غزة تحت الإدارة المصرية، ولم يُمنح سكانها الجنسية المصرية، وفي عام 1967م احتلتها خلال النكسة، ثم أصبحت غزة مركزاً للمقاومة السياسية في الانتفاضة الأولى، وبعد اتفاقيات أوسلو من عام 1993، أصبحت تحت السيطرة المباشرة للسلطة الوطنية الفلسطينية التي أُنشئت حديثا. وظلت فعليا تحت الاحتلال حتى 2005م؛ حيث انسحبت إسرائيل من جانب واحد من قطاع غزة، وفي يناير 2006م فازت حركة حماس بالأغلبية في الانتخابات التشريعية، وتشكلت الحكومة برئاسة إسماعيل هنية، وفي عام 2007م سيطرت حماس على قطاع غزة بعد مواجهات مع حركة فتح فيها، وأحكمت إسرائيل الحصار على قطاع غزة، وشنت حرباً في الفترة 2008-2009م، وخلف القصف مقتل أكثر من 1,300، وتدمير أكثر من 4,000 مبنى.

في 7 أكتوبرمن عام 2023م، فاجأ مسلحو "حماس" إسرائيل وحققوا نجاحًا تكتيكيًا مثيرًا، لكن منذ ذلك الحين عملت القوات الإسرائيلية على تعزيز قبضتها على غزة بشكل مطّرد، تاركة قسمًا كبيرًا منها في حالة خراب، حسبما جاء في تقرير لمجلة "فورين بوليسي"، مشيرًا إلى أنه رغم ذلك تدّعي الحركة الفلسطينية أنها حققت إنجازات، وسلطت "فورين بوليسي" في تقريرها الضوء على ما أنجزته "حماس"، وما تكبدته من فشل من خلال دراسة 3 أبعاد مختلفة تتمثل

في الصراع ضدّ إسرائيل، والتأثير على الساحة الفلسطينية الداخلية، وموقف المجتمع الدولي.

وتؤكد الإحصائيات حجم الدمار الهائل الذي لحق بالمنطقة نتيجة هذه الحرب، فمع مرور أكثر من 460 يوم على هذه الحرب، وبحسب التقارير الصادرة عن المكتب الإعلامي الحكومي في غزة، بلغت نسبة التدمير للقطاع 86%، وتُقدّر الخسائر الأولية المباشرة بحوالي 37 مليار دولار، وقد ارتكب الاحتلال نحو 3,798 مجزرة، أسفرت عن استشهاد 43,552 فلسطينيًا، بينهم 11,891 شهيدة من النساء، و17,385 شهيدًا من الأطفال.

إن الأثر الإنساني للحرب يتجاوز الأرقام؛ حيث يعيش أكثر من 2 مليون نازح في ظروف مأساوية، ودمّرت حوالي 159,000 وحدة سكنية بشكل كامل، وأصبح 83,000 منها غير صالحة للسكن؛ كما تضررت البنية التحتية بشكل كبير؛ حيث دُمرت 206 مقرات حكومية، و129 مدرسة وجامعة، مما حرم مئات الآلاف من التعليم. هذا الدمار الشامل خلق أزمة إنسانية خانقة، ويُظهر كيف أن حرب الإبادة لم تستهدف المباني، أو الأجساد فحسب، بل أرادت أيضًا تدمير مقومات الحياة ومعاني البقاء، وسرقة المستقبل لأجيال كاملة من الفلسطينيين.

ومازالت حرب الإبادة مستمرة حتى كتابة هذه السطور.

نبذة عن الجامع العمري

يعتبر الجامع العمري الكبير من أقدم المساجد في قطاع غزة، ويقع في البلدة القديمة في غزة (حي الدرج) جنوب شرق ساحة فلسطين عند سوق القيسارية "سوق الذهب"، وسوق الزاوية الأثري، ويعود الجامع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وتبلغ مساحته حوالي 4100 متر مربع، ومساحة فنائه 1190 متراً مربعاً، ويتميز الجامع بمئذنته التي بُنيت بشكل متأخر في العهد المملوكي؛ فقد بُنيت بشكل مربع في نصفها السفلي، ومثمنة في النصف العلوي، ويتكون الجامع من 38 عموداً من الرخام، وتحيط به أقواس دائرية، وتتوسطه قباب مرتفعة، وله 5 أبواب، وقد سمي المسجد بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ويعتقد أن المكان نفسه كان في العهد الروماني معبداً للإله مارنا، وكنيسة أودوكسيا البيزنطية.

وفي القرن السابع حوّله المسلمون إلى مسجد، وفي عام 1149م حوّل الصليبيون مكان المسجد إلى كاتدرائية مكرسة ليوحنا المعمدان، والتي دُمرت معظمها عام 1187م خلال فترة الأيوبيين، ثم أعاد المماليك بناء المسجد في القرن الثالث عشر ميلادي، وفي عام 1260م قام المغول بتدميره. وفي القرن السادس عشر، أعاد العثمانيون بناء المسجد بعد 300 سنة من وقوع زلزال ضرب المنطقة وأضرَّ به، أَعاد المجلس الإسلامي الأعلى إعمار الجامع بشكل كامل عام 1926م، بعد تدمير قسم كبير منه، وسقوط مئذنته أثناء الحرب العالمية الأولى؛ نتيجة قصف الطائرات البريطانية، وقد دمرت اسرائيل أجزاءً من المسجد عام 2014م، ورُمم مرة أُخرى عام 2016م، بتمويل قطري.

قصفت طائرات الاحتلال الإسرائيلي يوم الثامن من كانون الأول/ ديسمبر 2023م، الجامع ودمرته بشكل كامل تقريباً.

جامع الشمعة في ذاكرتي

كان جامع الشمعة من أبرز معالمها، ومقصدًا للعلماء وطلاب العلم، يضيء ليالي المدينة كما يُشعل في قلوب أهلها شُعلة الإيمان والكرامة، ولم يكن التعليم في غزة نخبويًا، بل كانت الكتاتيب والمدارس الشرعية مفتوحة لأبناء الفقراء قبل الأغنياء؛ حيث حفظت المدينة أجيالًا من العلماء والأدباء والقضاة.

تميزت غزة في تلك المرحلة بعائلاتها العريقة، التي كانت تسهر على تسيير شؤون الناس، وتحرص على تماسك النسيج الاجتماعي في ظل الإمبراطورية العثمانية التي رغم ضعفها في مراحلها الأخيرة، أبقت للمدينة طابعها العربي الإسلامي الواضح.

وفي عهد الانتداب البريطاني، عاشت غزة تحت نير الاحتلال البريطاني بعد سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وبدأت مرحلة جديدة من التحديات؛ حيث أصبحت المدينة قاعدة عسكرية للإنجليز، وميدانًا للصراع السياسي والمقاومة.

رغم سياسات التهميش والتضييق، بقيت غزة محافظة على هويتها، ونشأت فيها المدارس الوطنية، وظهرت الصحف والمطبوعات، وبدأت الحركة الوطنية تنظّم صفوفها، وقد انخرط كثير من أبناء غزة في ثورات 1921م و1929م، وفي الثورة الكبرى عام 1936م، فاستُشهد من استُشهد، واعتُقل من اعتُقل، وبقيت غزة شامخة لا تنحني.

كانت الحارات والبيوت القديمة، مثل: حي الزيتون، وحي الشجاعية، وحي

الصبرة، شاهدة على مقاومة الاحتلال، وأصبحت الشوارع تضج بالأناشيد الوطنية، وتردد أهازيج الرفض والاستقلال.

غزة في عهد الانتداب لم تكن ضعيفة، بل كانت شعلة تقاوم في قلب الظلام، وبوابة الجنوب التي تقف على أطراف الصحراء، تذود عن الكرامة، وتحتضن جراح الأمة كلها.

غزة التي عرفتها

غزة التي نشأت فيها لم تكن ترفًا حضريًا، بل كانت حالة وجدانية وهوية حية، وكنت أمشي في طرقاتها أتنفس عبق التاريخ من جدران بيوتها القديمة، أرتوي من صوت المؤذن في جامع الشمعة، وأتعلّم من حكمة الشيوخ في الحارات، وأرقب أمل الشباب في المدارس والساحات.

من لا يعرف غزة... لا يعرفني.

غزة لم تكن مجرد مدينة، بل أمًّا ثانية، وحاضنةً للتجربة، ومهدًا للتكوين. فيا من تقرأ هذه السطور، اقرأها بقلبك، لا بعينيك فقط، واقترب منّي كما لو كنت أجلس بقربك، أحكي لك، وأفتح لك صندوق الذاكرة، وأضع فيه بين يديك ما اختزنته من حب ونصح وأمل.

وفي ختام هذه المقدمة، أضع بين يدي أبنائي وأحفادي الآية التي كانت لي شعارًا في دروبي كلها، وتمنيت أن تكون سلاحهم في معركة الحياة، وعهدهم في زمن التحديات.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:2-3]

الفصل الأول

البدايات وذكريات الحي

في الأفراح، كنا نزف العريس في شوارع الحي محمولًا على الأكتاف، وكانت فرقة فدعوس تؤدي دورًا فولكلوريًا جميلاً، تصدح بالطبول والمزامير، وتُنعش الشوارع بأهازيجها الشعبية المبهجة.

كلما مررنا على بيتٍ من بيوت الحارة، كانت الزفّة تتوقف، فتعلو الزغاريد، وتبدأ الدبكة والرقص، ويتكرّر هذا المشهد أمام كل بيت، فيتفاعل الجيران، وتُفتح النوافذ، وتُلقى الحلويات، وكأن كل بيت يبارك هذا الفرح بطريقته الخاصة.

لم تكن أعراسنا باهظة، لكنها كانت صادقة، تُبنى على المحبة، وتُزيّنها البساطة؛ كانت الحارة بأكملها تشارك في الفرح، وتفيض القلوب بالرضا والسرور.

واليوم، حين أسترجع تلك المشاهد، أتساءل: ما الذي تغيّر؟ هل نحن من ابتعدنا عن الفرح الحقيقي، أم أن الزمان هو الذي غيّر الناس؟ ربما كنا فقراء في الأشياء... لكننا كنا أغنياء في المشاعر.

كانت الحارة ملعبنا الكبير، ولم نكن نملك ألعابًا إلكترونية ولا شاشات ملوّنة، لكننا كنا نملك الخيال، والرفاق والفضاء المفتوح؛ كنا نلعب "السبع حجار"، و"الطُمية"، و"الغِمّيضة"، ونركض حفاة في تراب الشوارع كما لو كنا نركض نحو الحياة.

كانت الأزقة تحفظ أسماءنا، والحجارة تحفظ خطواتنا، وكل زاوية من زوايا الحي تحمل ضحكة علقت بين الجدران.

لم تكن هناك جدران بين البيوت، ولا بين القلوب. جيراننا كانوا أهلًا لنا، والنساء يطبخن في بيوت بعضهن البعض، ويقرضن العجين من بيت إلى بيت، والأبواب تُترك مواربة؛ لأن الأمن كان شعورًا طبيعيًا، لا شرطًا بوليسيًا.

في المساء، كانت الرائحة تعبق من التنور، وصوت المذياع يصدح من سطح إلى آخر، وعيون الأطفال تتأمل نجوم السماء كأنها أسرار لا تملّ من التحديق فيها...

لم يكن في بيوتنا كهرباء، كنا نستخدم "الضو" ذو الشعلة، الذي يعمل بالكاز، ويعلوه غطاء زجاجي شفاف يُسمى "بنّورة"، كنا نحرص على تنظيفه بعناية، ونملأه كل مساء؛ لأنه كان وسيلتنا الوحيدة للإنارة.

عند الدراسة، كنّا نرفع الشعلة لتقوى الإضاءة، ونتقاسم نورها حول طاولة واحدة أو حصيرة واحدة، وعندما يحين وقت النوم، كانت أمي تخفض الشعلة حتى تظل نارها حيّة لكن هادئة، كأنها تقول لنا "ناموا بهدوء... والنور سيظل ساهرًا معكم".

كان الضوّ أكثر من وسيلة إضاءة... كان رفيقًا لنا، يرافق حروفنا الأولى، ويفتح لنا أبواب العلم رغم الظلمة، ويرسم حولنا ظلالًا دافئة في ليالي الشتاء الطويلة.

ومازلت أذكر جهاز الراديو الكبير، الراسخ في أحد جوانب غرفتنا الوحيدة والكبيرة، كأنه قطعة أثاث ثمينة لا يُمسّ؛ كان يعمل بالبطارية الكبيرة الثقيلة، التي كنّا نضطر إلى تعبئتها كلما نفدت، فنحملها إلى محل مخصص لشحن البطاريات، ونعود بها بعناية وكأننا نحمل كنزًا.

كان الراديو نافذتنا إلى العالم، نُصغي إليه بخشوع، نستمع للأناشيد، ونترقّب نشرات الأخبار، وننتظر الأغاني القديمة كأنها رسائل من زمن جميل.

وكان صوت الشيخ محمد رفعت في المساء يبعث فينا الطمأنينة والرهبة، يملأ

أركان البيت بخشوع لا يوصف، وكأن القرآن الكريم ينزل من السماء خصيصًا لنا.

كان صوته يعلو في السكون، فينصت له القلب قبل الأذن، وتخفت معه الأصوات والأنفاس.

لم يكن الراديو يتكلم كثيرًا... لكننا كنا نحسن الإصغاء، وكان لكل صوت فيه أثر، ولكل صمت معنى.

أما ذكريات شهر رمضان، فإنها ما زالت محفورة في الذاكرة، سواء جاء رمضان في فصل الشتاء أوالصيف.

مازلت أذكر والدتي (رحمها الله) وهي توقظنا للسحور في ليالي الشتاء الباردة، كانت تشعل كانون النار الصغير لتدفئ الغرفة؛ إذ لم تكن المدافئ قد دخلت بيوتنا بعد، وتكون قد أعدّت الشاي الساخن، والخبز المحمّر، والجبنة، والزيتون... كل شيء بسيط، لكنه دافئ، طيب، ومملوء بالحب.

أما في الصيف، فكان رمضان حكاية أخرى؛ كنت أذهب في ظهيرة اليوم الرمضاني لأشتري بعضًا من قطع الثلج التي تُباع على عربات يجرها الباعة، وتأخذها والدتي وتضعها في جرار الفخار؛ لتُبرّد بها الماء، فيكون باردًا نقيًا وقت الإفطار، كأنه هدية السماء.

لم يكن في بيتنا ثلاجة، ولا ماء مثلّج جاهز... لكن كان في البيت أم تعرف كيف تصنع البركة من القليل، والفرح من بساطة الأشياء.

وكانت لحظة أذان المغرب لحظة مهيبة في بيتنا، كنا ننتظرها بقلوب عطشى، وآذانٍ مشدودة نحو صوت المؤذن وهو يشقّ السكون بندائه العذب: الله أكبر... الله أكبر.

في بيتنا، كانت الطاولة قد فُرشت ببساطتها المعتادة: صحن من الشوربة، بعض التمر، الخبز الطازج وكوب من الماء البارد من جرّة الفخار... لكنه كان إفطارًا حقيقيًا، دافئًا، مفعمًا بالامتنان.

كانت والدتي تجهز الطعام بصبرٍ ومحبة، وتصرّ على أن نبدأ بالبسملة والدعاء، وكان أبي يرفع يديه إلى السماء بخشوع قبل أن تمتد يده إلى صحن الطعام، وكنّا نحن الأطفال نأكل بهدوء، ليس خوفًا، بل احترامًا وكأننا نُدرك قدسية تلك اللحظة حتى في صغرنا.

وكان من عادات الحي أن يتبادل الجيران أطباق الطعام، فتصلنا رائحة "المفتول" من بيت الجيران، وتحمل أمي صحن المقلوبة إلى بيت خالتي، وتدور الأطباق بين البيوت كما تدور المحبة، صامتة... لكنها محسوسة.